من إصدارات
المجمع الإسلامي العلمي

مسئولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعالم

بقلم :
سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء -لكناؤ (الهند)

اهتم بالطبع والتوزيع :
المجمع الإسلامي العلمي
ندوة العلماء ، ص. ب ١١٩ -لكناؤ (الهند)

من مطبوعات المجمع الاسلامي

رقم
٢٨٦

الطبعة الاولى
١٤١٩هـ. ١٩٩٨
عدد الطبع ١٠٠٠

ص، ب، ١١٩. ندوة العلماء، لكهنؤ

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الرسالة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ! فإن هذه الرسالة محاضرة قيمة ارتجلها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني النـدوي في مدينة عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية ، في ٢٤/من شهر أغسطس ١٩٩٨م الموافق ٢/من جمادى الأولى ١٤١٩هـ بمناسبة زيارته لها للحضور في دورة مجلس الأمناء العاشرة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية .

بالمناسبة انتهزت وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية لهذه البلدة المباركة ، وجود سماحته فوجهت إليه الدعوة لإلقاء محاضرة علمية دينية ، فقبلها سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وهنالك قام معالي وزير الأوقاف والشئون الإسلامية الدكتور عبد السلام العبادي بتنظيم أمسية في قاعة الشهيد الملك عبد الله بن

الحسين في التاريخ المذكور أعلاه ، وألقى كلمة قيمة تقديماً للمحاضرة ، ثم علق عليها تعليقاً جيداً ، وشكر سماحته بقبول دعوته لإلقاء هذه المحاضرة القيمة .

وقد ضمت الأمسية عدداً كبيراً من أعيان البلد والعلماء والوزراء والمثقفين ، والجماهير المسلمة ، فقد غصت القاعة على سعتها بالمستمعين الكرام من الرجال والنساء .

نقلها من الشريط الأستاذ آفتاب عالم الندوي ، أستاذ بكلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء .

نتحفها إلى القراء الكرام في صورة هذه الرسالة بعنوان : "مسئولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعالم" ، نرجو الله سبحانه أن يجعلها ذات نفع وتأثير ، ويتقبلها قبولاً حسناً .

الناشر
١٤١٩/٦/٤هـ
١٩٩٨/٩/٢٦م

مسئولية الأمة الإسلامية أمام الأمم والعالم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، خاتم النبيين ، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان ، وداعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

إخواني وأخواتي ، سادتي وسيداتي !

إنني كلما مرت بي هذه الآية القرآنية ، وقرأتُها : "أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض * إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ (١) وقفت حائراً مشدوهاً أمام هذه الآية القرآنية ، بصفتي - والحمد لله تبارك وتعالى - أؤمن بالقرآن بفصه ونصّه ، عقائد ، وأحكاماً ، وأخباراً ،

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٣ .

وكدارس للتاريخ ، وباحث في التاريخ كذلك ، خصوصاً تاريخ القرن السادس المسيحي الذي كانت فيه البعثة المحمدية ، وبصلتي بالسيرة النبوية دراسة واسعة متنوعة في اللغات .

إنني أحار عند قراءة هذه الآية (إنّ الجاهلية قد كانت مخيمة على العالم كله ، ضاربة أطنابها على السهول والجبال ، و على القفار والبراري ، على البلاد المتمدنة ، وعلى البلاد المتأخرة ، كما اتفق عليه المؤرخون ، قد كانت الجاهلية هي الديانة الوحيدة التي تؤمن بها وتعمل بها شعوب العالم كلها) فكان الجزء المتمدن المعمور الراقي ينقسم في جزءين ، الجزء الشمالي الغربي ، و الجزء الشرقي ، كانا خاضعين لإمبراطوريتين جاهليتين ، إن لم أقل وثنيتين ، لكن بتحرّي الصدق والدقة ، أقول : إمبراطوريتين جاهليتين ، الجزء الكبير والمتمدن المعمور كان خاضعاً للإمبراطورية الرومية التي كانت تسمى بالإمبراطورية المسيحية ، والجزء الثاني : و هو الجزء الشرقي ، كان خاضعاً للإمبراطورية الفارسية الإيرانية المجوسية الساسانية ، و كان باقي أجزاء العالم المعمورة المتمدنة الراقية وغير الراقية كلها كانت خاضعة

لوثنية فاحشة ، لوثنية سافرة ، وثنية عارية ، حتى الهند التي كانت تملك فلسفات عميقة ، وكانت تملك مدارس فكرية كبيرة في بعض الأزمان ، كانت خاضعة للوثنية الفاحشة ، يقول أستاذ كبير ، صاحب اختصاص في التاريخ بروفيسور في جامعة دهلي ، يقول : "قد وصل عدد المعبودات والمعبودين في الهند إلى مائة مليون في بعض الأحيان" ، والبوذية أخفقت في إصلاح الحال وفي توجيه البلاد - كما يدعي مؤرخوها وكما يدعي دعاتها - إلى التوحيد ، قد أخفقت تماماً ، كما اعترف به المؤرخون في الهند ، كذلك كانت الدولة المجوسية الإيرانية ، وكانت فارس كذلك ، و كانت كل أصقاع العالم ، و كل قطع العالم ، وكل النواحي ، كلها خاضعة للوثنية ، وخاضعة للأوهام والخرافات ، وخاضعة للاضطهاد ، وخاضعة للخرافات ، ولكن كانوا هم الذين يملأون العالم ، وكان عددهم لا يحصى ، لا يمكن إحصاؤه ، ولا أعرف مؤرخاً أحصى عدد الموجودين في ذلك الزمان قبل البعثة المحمدية، أو عند البعثة المحمدية في العالم ، ما كان هناك إحصاء عالمي ، إحصاء دقيق عالمي ، ففي جانب ، أوسع عالم ، وأكثر ، وأملك للطاقات البشرية ، وأملك للقوى الحربية ،

وأملك للمكتبات العلمية ، وأملك لكل القيم ، ولكل الخصائص التي تتصف بها الأمم ، كانوا في جانب ، قد اتخذوا جبهة ، جبهة وثنية ، جبهة للدعوة الوثنية ، والإغراء للوثنية ، والخضوع للخرافات ، والخضوع للأساطير ، والخضوع للاستبداد ، وقهر الملوك ، هكذا كان وضع العالم في ذلك الحين .

وكان مقابل ذلك المسلمون ، المسلمون وهم حفنة بشرية ، وهذا تعبير غير مُبالغ فيه ، حفنة بشرية ، تملأ الكف ، يعني إذا قيسوا في العدد والعُدد ، وفي القوة ، وفي الطاقات والآلات ، إذا قيسوا بهذا العالم المتمدن المعمور ، المالك لأزمة الأمور ، والموجه للعالم كله توجيهاً كما يشاء ، إذا قوبل بينهم وبين هذه الحفنة البشرية كانوا في الحقيقة ملء الكف ، فقد صحّ في الأحاديث الصحيحة ، وقد جاء في صحيح البخاري : إنه كان هنالك ثلاثة إحصاءات ، أمر الرسول عليه الصلاة والسلام بإحصاء المسلمين في المدينة المنورة ، ما عدد المسلمين المهاجرين ، والذين آمنوا بالإسلام في المدينة المنورة، فكان الإحصاء الأخير لا يتجاوز ألفاً وخمس مأة ، هذا الذي جاء في صحيح البخاري ، وكان ذلك عند غزوة أحد ، وبعضهم يقول عند حفر الخندق ،

كانوا لا يتجاوز عددهم ألفاً وخمس مأة ، هؤلآء ألف وخمس مأة ، يخاطبون في القرآن الكريم بقوله تعالى : ﴿ الذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ هم جبهة : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ أي إن لم تكوّنوا جبهة ، إن لم تكوّنوا معسكراً ، إن لم تكوّنوا اتجاهاً ، اتجاهاً سافراً معلناً به ، اتجاهاً واضحاً للدعوة إلى اللّه تبارك وتعالى ، وللدعوة إلى التوحيد الخالص ، وللدعوة إلى احترام الإنسانية ، و للدعوة إلى الإخاء الإنساني ، و الأخوة البشرية ، والدعوة إلى الإنصاف ، والدعوة إلى المساواة ، والدعوة إلى خشية اللّه تبارك وتعالى ، والعطف على الإنسانية ، إلا تفعلوه ، تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، كيف يفهم الإنسان بسهولة إذا لم يكن عنده إيمان عميق بالقرآن ، ودراسة دقيقة عميقة وتحرّ للصواب ، ولواقع العالم البشري .

فقد كان هناك ملايين وملايين وملايين وملايين من البشر ، من الناس ، بعضهم مثقف ، عدد كبير منهم مثقف ، وعدد كذلك غير مثقف ، كلهم يخضعون للوثنية خضوعاً فاحشاً سافراً دائماً ، وعندهم خرافات وأساطير ومفروضات وعادات وتقاليد جاهلية فاحشة ظالمة جائرة

للإنسانية ، والشرف الإنساني ، وهناك حفنة من البشر لا يتخطى عددهم ، ولا يتجاوز عددهم ألفاً وخمس مأة ، فكيف غير الله تبارك وتعالى ؟ أقول لكم بصراحة : كيف غير الله تبارك وتعالى كان يستطيع أن يقول هذا ؟ هناك ملايين من البشر ، وملايين وملايين من البشر ، يملكون كل طاقة ، ويملكون كل وسيلة ، ويملكون كل عدة ، ويملكون كل سلاح ، ويملكون كل تصرف في البشرية ، وهناك حفنة بشرية ، قد تجوع ، يجوع مئات منها ، ولا يستطيع كثير منهم أن يستر جسمه ستراً كافياً وافياً أو يقوت عياله ، هناك حفنة بشرية قلية العدد ، قليلة العَتاد ، وقليلة الأسلحة ، وقليلة القوى والطاقات ، وهناك بحر خضم ، بحر لا يعرف قعره ولا عمقه ، بحر مستفيض فائض على الصعيد كله ، على الأرض كلها ، قارات وأبالات ومدن وقرى ، وكذلك محلات صغيرة وكبيرة وعمارات وحكومات وفقر مدقع ، وعريٌ وفاقة .

وهكذا كان العالم موزعاً في ذلك الحين بين هذه الأكثرية الساحقة الغالبة الماحقة المعاندة المتشبثة الملحة المصرة على الوثنية ، وهناك كانت حفنة بشرية لا تستطيع أن تعول نفسها ، وتعلمون جميعاً أن كل مهمة كبيرة تحتاج

إلى أن يكون الذي يضطلع بها ، والـذي يقبـل مسـئوليتها هو أن يكون صاحب كفاف ، ويكون صاحب كفاية وقـوة ، فهنا كان من جهة العدد ، ومن جهـة العـدد ، و مـن جهـة الآلات ، و من جهة الطاقات ، هـذه حفنـة بشـرية قليلـة ، وهذا العالم الممتد ، عالم كالبحر مائج هـائج ، فكيـف غـير اللّه تبارك وتعالى يستطيع أن يقـول : ﴿ إلا تفعلـوه تكـن فتنة في الأرض * وفساد كبير﴾ .

هذا لأن العبرة بالقيمة لا بـالقامة ، إن المسلمين كانوا صغاراً في القامة ، ولكنهم كانوا كباراً في القيمة ، والعـبرة بالقيمة لا بالقامة ، يدل عليه التاريخ ويثبتـه التـاريخ مـن أوّلـه إلى آخـره ، إن القيمـة دائمـاً تغلبـت علـى القامـة ، وهزمت القامة ، لـو لا هـذا لمـا كـان لهـذا العـالم المتمـدن المعمور بقاء ، ولا كيان أبداً ، لو لا أن القيمـة إنمـا غلبـت واستطاعت أن تتغلب واستطاعت أن تهزم القامة ، مهمـا كانت كبيرة وشامخة ، لما بقيـت هنـاك عقيـدة صحيحـة ولا دين صحيح ، ولا دعوة صحيحة ، ولا كرامة بشرية .

فإخواني ! ينبغي أن نتـأمل ، وأن نؤمـل وأن نفكـر في هذه الآية ، في هذه المقارنة ، لإلقاء التبعـة ، تبعـة الدعـوة ، وتبعـة الإنسانية ، و المسئولية الإنسانية على هـذا العدد

القليل ، وعلى هذه الحفنة البشرية .

ولقد أثبت التاريخ أن هذه الحفنة البشرية لما قامت ، واضطلعت بمسئوليتها ، وقبلت مسئوليتها ، وقامت بمسئوليتها ، غلبت على هذا البحر الخضم الممتد على صعيد الأرض كلها ، تغلبت عليه ، وهزمت هذا العدد والعدد والعتاد ، وهذه المملكات الشامخة ، وهذه الطاقات الباذخة كلها ، تغلبت هذه الفئة القليلة ، هذه القلة على هذه الكثرة ، في هذه الآية في الحقيقة تبصير لنا ، وإثارة لعواطفنا ، وإثارة لإيماننا ، وإثارة لعزيمتنا ، وإثارة لنخوتنا ، وإثارة لإبائنا وعزتنا أن نقوم أمام هذه الكثرة الشامخة ، هذه الكثرة الفاشية التي نراها اليوم ، ونقوم أمامها بقيمتنا لا بقامتنا ، بدعوتنا لا بما عندنا من إمكانيات ، ومن فرص ، ومن عتاد ، نقوم بالدعوة ، بإخلاص ، بقوة الإخلاص وبقوة الإيمان ، نقوم بالميزة الخلقية ، نقوم بالإخلاص التام ، لا نكون خاضعين للعَدَد ، والعُدد ، نكون خاضعين لله تبارك وتعالى ولإرادته ولنصرته ، فالله سبحانه وتعالى قد وعد بالنصر ، و وعد المسلمين ، و وعد القائمين بالحق ، وبالدعوة الصحيحة ، بالنصر المبين ، والتاريخ يشهد بذلك، من أوله إلى آخره ، بأن فئات قليلة العدد تغلبت

على فئات كثيرة ، ولا أقول فئات ، بل تغلبت على بحار من العدد ، والعُدد ، بقوة الإيمان وبالإخلاص في الدعوة ، وبالرثاء للإنسانية وبالتضحية والزهد ، هذه هي الأسلحة التي تستطيع بها ، هذه الأمة أن تتغلب بها على العالم المادي الخاضع للشهوات ، الخاضع للمصالح السياسية ، الخاضع للنفسانية ، الخاضع للازدهار والاستعمار ، وقد وقع ذلك مراراً في التاريخ الإنساني ، ومراراً في التاريخ الإسلامي كذلك ، إن المسلمين ، و إن قل عددهم تغلبوا على فئات كثيرة العدد ، و على طاقات كبيرة .

والآن أقول لكم بصراحة : إن هنالك فراغاً ، هنالك فراغ ليس مثله فراغ ، فراغ ضد الإنسانية ، فراغ ضد رحمة اللّه تبارك وتعالى بالإنسانية ، ضد ما أراده اللّه تبارك وتعالى ، وما جاء به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام ، وهو فراغ الدعوة ، فراغ الدعوة العالمية ، فراغ الاعتماد على اللّه تبارك وتعالى ، والاعتماد على القوة الإيمانية ، وعلى اللّه تبارك وتعالى من النصر المبين ، وقد شوهد وجُرّب مراراً وتكراراً في التاريخ الإنساني أن تغلبت الفئة القليلة الضعيفة على فئة كثيرة قوية : ﴿ كم

من فئة قليلة غلبت فئةً كثيرةً بإذن اللّه ﴾ (١) .

فإخواني ! أنا انتهز هذه الفرصة التي تسنح قليلاً ، لمثلي فيما عندي من أشغال ، وما عندي من أسفار ، وما عندي من تبعات ، ومسئوليات ، أنا انتهز هذه الفرصة ، وأقول لكم يا إخواني ! يا إخواني المسلمين ! يا إخواني العرب ! أنتم تجعلون قوله تبارك وتعالى : ﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾ نصب أعينكم ، وتؤمنوا بهذا ، لو لم تقوموا لله تبارك وتعالى ، ولو لم تقوموا بالدعوة الإسلامية الصحيحة الصادقة المخلصة الراحمة بالإنسانية الرافئة بالإنسانية ، فالعالم على خطر ، أقول لكم العالم على ما عنده من عتاد وما عنده من أسلحة مادية ومعنوية وثقافية ونشرية ، العالم في خطر ، إذا لم تكن هناك دعوة إلى الإيمان ، إذا لم يكن هنالك اتجاه عالمي بالأصح ، اتجاه الطاقات الكبرى والبلاد المتمدنة الراقية إلى دراسة الإسلام ، ثم إذا وفق اللّه تبارك وتعالى إلى قبوله وإلى اعتناقه ، فأقول لكم : هذا الفراغ يجب أن يملأ .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٩ .

و العـرب - سامحوني - هـم أحـق بذلـك ، لأنهـم هـم الذين أكرمهم الله تبارك وتعالى بتوجيـه الدعـوة إليهـم ، وهم الذين قاموا ونهضوا في العالم ، وهم الذيـن أنقـذوا العالم من الانهيار ، أنقذوا العـالم مـن الدمـار والخـراب ، أنقذوا العالم من الهـلاك والإبـادة ، فيجـب علـى إخواننـا العرب ، وهم السادة وهم الأساتذة ، وهم الرعيـل الأول ، وهم الطليعة في ميدان الدعوة ، في مجـال الدعـوة في مجـال الرثاء للإنسانية ، يجـب عليهـم أن يقومـوا قبـل أن يقـوم غيرهم، ويقوموا بالدعوة في أمريكا ، وفي أوربا وفي اليابان وفي الصـين ، وفي منـاطق أخـرى ، بـالدعوة إلى الإسـلام ، وتوضيح الإسلام أمام الساكنين خصوصاً المثقفـين هنـاك ، يُشرح الإسلام ، ويعرض الإسلام في قالب علمـي مقنـع ، ومراعاة للنفسية البشرية ، ومراعاة للأوضاع هناك ، يجـب على إخواننا المسلمين جميعـاً | أقـول لكـم : هـذا واجـب المسلمين جميعاً من غير تمييز ومن غير استثناء ، ولكن لكم أوجب ، إذا كان واجباً على المسـلمين فإنـه أوجـب علـى إخواننا العرب أن يقومـوا بهـذه الدعـوة ، لأن العـالم إنمـا خرج من المأزق ، خرج من الهاويـة الـتي كـان فيهـا ، عـن طريق العرب الأولين ، عن طريـق الدعـاة العـرب ، مـن

طريق الصحابة - رضي اللّه عنهم - والتابعين لهم بإحسان أو تلاميذهم ، والذين اقتبسوا منهم النور ، واقتبسوا منهم العلم الصحيح والرحمة بالإنسانية ، والرثاء للإنسانية ، وكذلك الشجاعة الأدبية والشجاعة البيانية ، والآن ، هذا وقت أكيد ، و وقت ربما لا تسنح فرص بعد ذلك ، فرص كثيرة .

يجب علينا أن نقوم بالدعوة الإسلامية الصحيحة المقتبسة من القرآن الكريم ، والسنة النبوية والسيرة النبوية ، وشمائل الصحابة وسيرة الصحابة - رضي اللّه عنهم - ونملأ هذا الفراغ ، إنه فراغ ليس هنالك فراغ أغور من هذا الفراغ ، وأخطر من هذا الفراغ ، فيجب أن يملأ هذا الفراغ ، وهذا في صالح الإنسانية ، ليس في صالح المسلمين فقط ، حتى يمتد سلطانهم ، ويمتد نفوذهم أو يستطيعون أن يكتسبوا الفوائد ، ويحرزوا الفوائد الاقتصادية والسياسية ، لا ، هذا في مصلحة الإنسانية أن توجه إليها الدعوة الإسلامية ، وإلا فأنا أخاف على الإنسانية كلها ، على البشرية كلها ، وحتى على أجزاء العالم الراقية المتمدنة القائدة الرائدة للعالم ، فإذا لم تكن

هنالك دعوة فإنه لا يؤمن على البشرية التائهة الضالة الظالة ، لا يؤمن لها بالبقاء لمدة أطول .

فهذا في صالح الإنسانية و في صالح المسلمين ، و في صالح العرب أولاً ، وللعرب حق أكبر ، وحق رئيسي في توجيه هذه الدعوة ، وفي الاضطلاع بهذه الدعوة ، بصدق وإخلاص وشجاعة وجراءة وصراحة ، أقول لكم هذا ، ولا أريد أن أطيل عليكم ، فأتلوا الآية الكريمة مرة ثانية لتتأملوا فيها : إن اللّه سبحانه وتعالى يقول : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض * إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض * وفساد كبير ﴾ إلا تفعلوه ، أيها المسلمون ! أيتها الحفنة البشرية الضئيلة العدد ، إذا لم تقوموا بالاضطلاع بهذه الدعوة الإنسانية الكريمة الواسعة المتقذة للبشرية ، إن لم تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ، هذا ما نشاهده بعيوننا بأم عيوننا ، نشاهد كيف هذه البلاد التي يضرب بها المثل في المدنية وفي الحضارة وفي الثقافة ، والبلاد التي توجه العالم العالم توجيهاً فكرياً وثقافياً ومدنياً وحضارياً وسياسياً ، هذه كلها

في خطر ، إذا فهم قادتها ، ومنهم من يفهم هـذا ، إذا فهـم قادتها ، فإنهم خافوا على هذه البلاد نفسها ، وخافوا علـى أنفسهم ، وبدأوا يطالعون الدين الأخير، الخاتم الصحيح ، الدين المنقذ للبشرية ، وكـان هنـالك دور آخـر للتـاريخ ، وليس ذلك على اللّه بعزيز ، ندعو اللّه سبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفق إخواننا ويوفق العالم المتمدن كذلك للتعرف بهـذا الخطر الداهم ، الخطر القاصم ، الخطر المبيد ، ليس لبلاد فقط بل للإنسانية كذلك .

أحمد اللّه تبـارك وتعـالى علـى سـنوح هـذه الفرصـة للحديث معكم ، وهذا شرف عظيم لي ، فأحمد اللّه تبـارك وتعالى ، وأشكركم وأشكر القائمين بهذه المناسبة .

جزاهم اللّه خيراً .

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته

☆☆☆☆